وهذا المقال وان كتب عليه أنه نقلا عن صفحة « الحياة العصرية » بجريدة الشرق الأوسط فما ذلك الا لاعطاء جريدة الشرق الأوسط حقها في السبق لنشره بينما هو قد تناولته من كاتبه بحكم الدالة عليه وعلى الشرق الأوسط حرصا على مواكبة الموضوع الذي نشرته بقلمي نقلا عن جريدة الجزيرة كما التمست أن يكون فيه بعض التلاحم مع المقال الذي كتبه الدكتور يوسف الحميدان وكيل وزارة الصحة في هذا العدد بعنوان «شفاء النفس بالنفس» وذلك حرصا مني على التكامل بين هذه المواضيع ..

والله ولي التوفيق .

رئيس التحرير

علاج السرطان
على طريقة قدماء المصريين
بالكى بالنار

د. أحمد نبيل أبو خطوه

- نقلا عن صفحة « الحياة العصرية » التى يعدها الدكتور أحمد نبيل أبو خطوة الاستاذ المشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وتنشرها جريدة الشرق الأوسط .

السرطان ، المرض اللغز المحير ، مازال يتفشى بين الناس ·· والعلم أمامه يقف عاجزا وحائرا · وبالرغم من النجاح المحدود الذي حققته عمليات استئصال الأورام الخبيثة بالعمليات الجراحية ، والعلاج بالعقاقير الكيماوية السامة ، وبالأشعة الذرية ، وباستخدام طرق علم المناعة الحديثة وغيرها ، الا أن العلاج المثالي ضد السرطان مازال مجهولا وبعيد المنال · فنحن حتى الآن لانعرف على وجه التحديد مسببات هذا المرض ، خاصة وانه ليس بمرض واحد بل عدة أنواع مختلفة ·

ومن ضمن المحاولات الجديد لعلاج السرطان والتي استقى فكرتها العلماء من قدماء المصريين هو العلاج بالحرارة أو الكي بالنار · فلقد بينت الرسومات الموجودة على أوراق البردي التي خلفها قدماء المصريين منذ نحو خمسة آلاف سنة ، أن علاج تورمات الجسم كان يتم عن طريق الكي بالنار · وأظهرت هذه الرسومات كيف كان يدخل الطبيب المصري القديم عصا حديدية ساخنة لدرجة الاحمرار داخل الورم للقضاء عليه · والغريب في الأمر أنه بعد مرور آلاف السنين ، يكتشف العلماء في القرن ١٩ أن أورام الجسم سواء الخارجي منها أو الداخلي تزول عندما يصاب المرء بالحمى وارتفاع درجة الحرارة ·

وبذا أصبح هناك علاقة سببية بين الأورام وبين الحرارة يراها ويؤكدها الأطباء ·

الطب البلدي

وفي بحث عن التطبيب البلدي والتداوي بالكي والنار ، ذكرنا استاذنا الفاضل/ محمد حسين زيدان ــ الكاتب والمؤرخ السعودي المشهور ، في مقالة شيقة نشرتها له مؤخرا جريدة الجزيرة السعودية ، ذكرنا بأن الانسان كان في حاجة دائمة الى النار التي لم يعرفها الا بعد أن رآها · فبالنار وحدها يمكن كي قرصة العقرب ، وافساد مفعول لدغة الثعبان ، وكأنه أحدث الأمصال الطبية المعروفة ، وهذا ما كان يتبعه أهل الصحة · ومن بعدهم أهل البادية ، وحتى في وقتنا الحاضر بين أهل المدن · كما ذكر لنا الأستاذ الكاتب قصصا حقيقية أبطالها من الأطباء العرب ، استخدموا الكي بالنار

لعلاج كثير من الأمراض مثل : تضخم الطحال ، والصفراء (اليرقان) ، والالتهاب الرئوي ، وأمراض اللثة ، والجروح الغائرة وغيرها · ولقد تكللت أغلبية هذه المحاولات بالنجاح وبشفاء المرضى ·

استراتيجية جديدة

ولقد استفاد خبراء اليوم من مثل هذه الشواهد والأدلة ، لوضع استراتيجية جديدة لعلاج الأورام السرطانية الخبيثة باستخدام الحرارة · وأطلقوا على هذا النوع الجديد من العلاج ، الذي لم يكن معترفا به من قبل بصفة رسمية ، العلاج بالحرارة الزائدة Hyperthermia · وكانت أكبر مشكلة واجهت البحاث ، في هذا الصدد ، هي كيف يمكن تلافي المضاعفات التي تخلفها الحرارة أو الكي بالنار وراءها ؟ مثل تهتك وحرق أنسجة الجسم السليمة القريبة من مكان الورم · وبعد بحوث مضنية استمرت عشر سنوات ، أعلنت مؤخرا عن طريقة مثالية لعلاج الأورام السرطانية بالحرارة دون أخطار ومضاعفات جانبية ·

أشعة الميكروويف والراديو

والطريقة الجديدة تتلخص في استخدام نوعين من الاشعاعات طويلة الموجة : أشعة الميكروويف ، وأشعة الراديو · هذين النوعين من الأشعة عند تعريضهما الى الأنسجة الحية الطرية يتولد عنهما حرارة شديدة نسبيا قد تصل الى أكثر من ٦٠ درجة مئوية · فمن خصائص أشعة الميكروويف مثلا أن عند مرورها داخل الورم السرطاني الخبيث تحدث اثارة شديدة لجزئيات الماء والبروتين داخل نسيج الورم مما يؤدي الى حدوث احتكاكات وتصادمات عنيفة بينهما ، الأمر الذي عنه تتولد الحرارة · ولقد توصل الى هذه الطريقة كل من ميشيل سالزمان (مهندس كهربائي) وجورج ساماراس (خبير أعصاب) الباحثان في جامعة مريلاند بأمريكا · وركز هذان الباحثان على نوع من التورمات السرطانية المعروفة باسم :

Glioblastoma Multifome

والموجودة في الدماغ · هذا النوع من السرطان يصيب سنويا أكثر من ١٠ر٠٠٠ شخص في أمريكا وحدها · وطريقة علاج

هذا النوع من الأورام تتلخص في فتح الدماغ والوصول الى مكان الورم الخبيث · وهنا يغرز الطبيب في الورم سلكا رفيعا للغاية ويتصل بجهاز توليد أشعة الميكروويف ·

ويمكن التحكم في درجة حرارة السلك بجهاز تنظيم درجة الحرارة · وعادة لا تزيد درجة حرارة السلك عن ٥٠ درجة مئوية · وتستغرق فترة العلاج على هذا النحو مدة ساعتين ، تكرر مرتين لا غير · أما عن نتائج التجربة فهي لازالت في طي الكتمان ــ ولو أن « سلزمان » صرح مؤخرا بأنه متفائل بشدة ، وخاصة أنه اذا ما نجحت هذه التجربة على نسيج حساس مثل الدماغ ، فانه من الأولى أن تنجح على أنسجة أخرى مثل الرئة والكبد وغيرهما ·

أبحاث مماثلة

كما صرح مؤخرا كريستيان ستورم الباحث في جامعة كاليفورنيا بلوس أنغلوس ، أنه اتبع نفس الطريقة على ١٧٥ مريضا يعانون من سرطان الرئة والكبد ، ولكن باستخدام موجات الراديو · وأكد ستورم بانه نجح في ازالة عدد من الأورام الخبيثة من بعض المرضى ، حتى أنهم أصبحوا الآن يعيشون حياة طبيعية ·

وتؤكد كافة النتائج الأخرى على أن علاج السرطان بالحرارة قد اثبت فعاليته بدرجة كبيرة غير متوقعة ، خاصة عندما يجرى العلاج بمساعدة العقاقير الكيماوية الموقفة لنمو الأورام الخبيثة · صرح أحد الخبراء حديثا أن العلاج بكي الأورام السرطانية لا ينجم عنه الآن أية خطورة ولا مضاعفات جانبية بعكس العلاج الجراحي واستخدام العقاقير الكيماوية وأشعة اكس التي لاتخلو جميعها من المضاعفات والآثار الجانبية غير المحمودة ·

مخطوطة
عنوان السعد والمجد
تأليف : عبد الرحمن بن ناصر
تحقيق : د. محمد سعد الشويعر

وصف المخطوطة :

* * *

- ٢ -

في استعراضنا لاسم الكتاب ، قلنا بأن النسخة التي رجعنا اليها صورة عن مسودة « نسخة خطية موجودة في مكتبة أرامكو بالظهران بالمملكة العربية السعودية ، وأشرنا الى رقمها هناك ، وفي مكتبة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، التي تحتفظ بنسخة مصورة عنها رقم «٣» في فهرس المخطوطات .

لكن المؤسف حقا ، عدم استطاعتي الاطلاع الا على الجزء الأول ، الذي بدأ المؤلف أحداثه من نهاية تاريخ ابراهيم بن عيسى ـ كما يقول ـ .

وقد رسم المؤلف لنفسه بأن يكون كتابه ذيلا لتاريخ ابن عيسى (١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٥٤ ـ ١٩٢٥م) كما كان تاريخ ابن عيسى ذيلا لتاريخ ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ ١٧٩٥ ـ ١٨٧٣م) ، كما قال المؤلف نفسه في مقدمته ..

ولعل هذه المقالة ، مع ما اكتنف تاريخ الشيخ ابراهيم بن عيسى من ملابسات ، جعلت الظنون تساور الباحثين ، والأقوال تتباين عن أسباب فقدان الجزء الثاني من تاريخ ابن عيسى ، مما أوجب خروج رأي لعبد الله فلبي (١٣٠٣ ــ ١٣٨١هـ/١٨٨٥ ــ ١٩٦٠م) يقطع فيه بأن الجزء الأول من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، هو الجزء الثاني من تاريخ ابراهيم بن عيسى ، وأن عبد الرحمن بن ناصر كان دوره ينحصر في شطب الكلمات غير المستحسنة وهذه الأسباب التي توهمها فلبي ، قد رد عليها المؤلف برسالة بعثها للشيخ حمد الجاسر ، بتاريخ ١/٩/١٣٨٠هـ .. تعقيبا على ما نشر بمجلة اليمامة عام ١٣٨٠هـ .

نشر الشيخ حمد الجاسر بعض هذه الرسالة بمجلة العرب التي تصدر بالرياض الجزء العاشر ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ [أنظر الفقرة ٣ من المظاهر البارزة عند المؤلف بهذا البحث] .

وقد قال عبد الفتاح أبو علية في بحثه : مصادر تاريخ الجزيرة ، الذي قدمه للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، بجامعة الرياض كلية الآداب ، بأن الشيخ حمد الجاسر ، روى له : أن المؤلف قال له : بأن لديه أربع نسخ معتمدة ، من هذا المخطوط ، فقد أهدى واحدة للملك عبد العزيز ، والثانية لولي العهد ، والثالثة لسمو الأمير محمد بن عبد العزيز ، والرابعة للملك فيصل ، وكان قد طلب طبعها ، وأعتقد أن مسودة هذا المخطوط هي أصل النسخ المبيضة [ص ٤] .

بدأ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر تاريخه هذا بعام ١٣٠١هـ ، وانتهى في الجزء الأول بعام ١٣٥٥هـ ، وبالتحديد في شهر رمضان من هذا العام عندما قال : « وفيها ــ أي في سنة ١٣٥٥هـ ، التي بدأ أحداثها من ص ٣٣٥ ــ كتب الامام أيده الله ، الى جميع رعيته يأمرهم بتقوى الله ، والعمل بما يرضيه ، وأن يتجنبوا معاصيه ، ويخرجوا لطلب السقيا ، فخرجوا للاستسقاء أول يوم من شهر رمضان ، وسقوا عن آخرهم ، وثبت العشب والكماة ورخصت الأسعار » .

ثم اتبع ذلك مباشرة ، وبدون فاصل ، أو تنويه بقوله : « آخر الجزء الأول من كتاب عنوان السعد والمجد ، ويتلوه الجزء الثاني ان شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه » [المخطوطة ص ٣٤٠] .

أما الجزء الثاني ، فلابد أن المؤلف بدأه من حيث وقف في الجزء الأول ، الى قرب وفاته ـ ١٣٩٠ ـ ، ذلك أنه لم يكن يهتم بوضع الزمن التاريخي لما يكتبه في تاريخه ، أو للورقة المربوطة بالجزء الأول ، والموجهة لسمو الأمير مساعد ، والتي ينبىء فيها عن بعثه للجزء الثاني الذي جمعه أولا ، ثم استكمله ، مع أنه يعترف فيه بالنقصان ، وأنه سيصلحه عندما قال : « لاحق خير ان شاء الله ، أرسلنا الثاني ، وهو الذي جمعناه أولا ، ولا يخلو وسنصلحه بحول الله وقوته » [المخطوطة ص ١] · ورغم أن الفترة التي بحثها المؤلف ، والمتعلقة بتاريخ الملك عبد العزيز رحمه الله ، وبالبلاد السعودية ، قد غطيت من الدارسين لأحداث هذه البلاد ، والراصدين لسجل حياة المغفور له الملك عبد العزيز · الا أن الباحث المستقصي يهمه الاطلاع على هذه المخطوطة ، التي لا تخلو من جوانب لم يسبق اليها المؤلف ، في تدوينه لأحداث اجتماعية ، تتعلق بموضوعات لم يلتفت اليها أحد غيره ·· كما أن كل مؤلف له زاوية خاصة ، ومشرب متميز ، وطريقة تختلف عن غيره ··

وفي هذه الوجهات مدخل يستشفه المستقصي ، ويدركه المتمعن في مجريات الأحداث يعطي للمخطوطة أهمية خاصة ، وميزة منفردة ·

وهذا ما نلمح بعضه في الجزء الأول من هذا التاريخ ، حيث أبان المؤلف عن أشياء لم يتطرق اليها غيره ، ورصد معلومات غفل عنها كثير من الباحثين قبله وبعده · ذلك أن كل مؤلف لا يخلو من جديد ، وكل جديد لا يعدم القارىء فائدته ·

وبالنسبة للجزء الثاني فقد قال عبد الفتاح أبو علية ، في بحثه المقدم لكلية الآداب بجامعة الرياض : « بأن الشيخ حمد الجاسر قد اطلع على الجزء الثاني » [راجع بحثه] ·

وأتوقع أن النسخة متكاملة بمكتبة سمو الأمير مساعد ، الذي عرف عنه حبه للعلم ، واقتناء الكتب ·

والجزء الأول الذي رقمت صفحاته حديثا ، يقع في ٣٣٠ صفحة ، رغم أن آخر صفحة فيه كما مر بنا تحمل الرقم ٣٤٠ ، ذلك أن هذه النسخة بها صفحات متكررة عند التصوير ··

كما أن بعض الكلام لا يأتي مستقيما ، والأحداث غير متسلسلة ، مما أتوقع معه وجود سقط في الصفحات ، أو سهو من المؤلف ، حيث أن أحداث عام ١٣١٣هـ لم ترد عنده ، والكلام بين الصفحتين ١٨٧ و ١٨٨

غير مستقيم ، ومثــل هذا مابين ص ٢٨٥ وص ٢٨٦ ، علاوة على وجود تكرار ما بين ص ٢٨٦ ، وص ٢٧٤ ، أما ص ٣٠٧ فيبدو أنها مكملة له ص ٢٩٠ (١) لوجود كما جاء المرقم ليثبت أن الورقة الموجهة لسمو الأمير مساعد هي بداية الجزء الأول ، وأعطاها رقما متسلسلا ، كاول صفحة من الجزء الأول ، وهي لا تمت له بصلة ٠

حجم هذا الجزء القطع المتوسط بمقاس ٢٠ × ١٤ سم ، ومعدل أسطر كل صفحة ١٦ سطرا ٠ وتوجد صفحات يلغ عدد الأسـطر فيهـا ١٨ أو ٢٠ سطرا ، وصفحات أقل من ذلك ما بين ١٢ ، ١٥ سطرا ٠

وهذا يختلف بحسب نوعية الكتابة ، ودقة سن القلم الذي يكتب به ، أو سماكته ، أما معدل كلمات السطر الواحد فهي سبع كلمات ٠

هذه النسخة من الكتاب يبدو من خطها ، وكثرة أخطاء الكاتب ، وتعديلاته ، وتشطيباته ، أنها بخط المؤلف ، وأنهـا هي المسودة التي لم تنقح ، وهذا ما دفع أبو علية الى التاكيد في بحثه المقدم لجامعة الرياض ، حسبما اعتمد عليه من آراء بعض عارفي المؤلف ، أن هـذا الخط هو خطه بيده ، وأنه قد عرف عنه حسن الخط ، كما أنه ناسخ أكثر منه مؤرخ ، وأن هذه النسخة هي المسودة لكتابه [ص ٢] ٠

والمتتبع لهذا الكتاب يندر أن يمر به صفحة لا تعديلات فيها ، بل بلغ الأمر بالمؤلف الى أن طمس أسطرا تصل الى ثلث صفحة ، أو نصفها ، ليعلق في الحاشية معلومات تصحيحية لما أراد تبيينه ، ويظهر مثل هذا جليا في الصفحات [٣٧ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٢٣٩] ٠

أما عن الحواشي ، والتعليقات ، التي نستنتج بأنهـا معلومات اضافية ، وضح للمؤلف أهميتها ، أثناء مدارسـة ما كتب على الشيخ عبد الله العنقري (١٢٨٧ ــ ١٣٧٣هـ/١٨٧١ ــ ١٩٥٣م) ، او أنها تبينت له من مصادر أخرى ، بعد أن تاكد لديه قصور مؤلفه عن استكمالها ، فجاء ليلحقها بأماكنها ، فانها من الكثرة عنـده بحيث يصعب حصرها ٠ وبالقاء نظرة خاطفة على هذه المخطوطة ، يرى القارىء هذه الصورة متكاملة وبارزة عند المؤلف ٠٠

وتردد المؤلف في كتابه هذا ، ليست بمحاولة استكمال المعلومات التي تنقصه ، أو بتصحيح ما أورده من معلومات بعد أن وجد معلومات أخرى ظن أنها صحيحة ، ولا باستدراكه على المعلومات التي أوردها ، ويصححها بنفسه حيث يذكر في الحاشية كلمة صح ليؤكد للقارىء أن المعلومات الجديدة التي أضافها أصح .

ولكن أيضا يبدو لنا شيء من التردد في أماكن يتركها بياضا ، مما يدلنا على أن المؤلف مقتنع من نفسه ، بأنه لم يستكمل هذا الأمر ، ولذا ترك هذا المكان خلوا . على اعتبار أنه سيعود اليه بمعلومات يضعها في مكانها ، ولكن سها عليه ذلك . أو أن المعلومات لم تتوفر لديه كما في ص ٢٢٥ ، و ص ٢٢٦ ، في أحداث عام ١٣٤٤هـ . وص ٢٢٦ ، في أحداث عام ١٣٤٨هـ .. بعد ذكره لوفاة الشيخ سليمان بن سحمان ، والشيخ سعد بن عتيق .. كأنه أراد أن يوضح أسماء من أخذ العلم عن كل منهما ، فلم يتمكن من ذلك .

كما يتجلى تردده في تحديد الأرقام ، أو أسماء الرجال كما في ص ٥٨ ، ص ٦٢ ، وفي حديثه عن موضوعات لم يستكملها ، فيقول كما سيأتي ان شاء الله ، على اعتبار أنه سيزيد الموضوع وضوحا ، ولكن الأحداث تمر به ، وينساق في ذكر ما بعدها ، ولا يذكر شيئا كما في ص ٨٠ ، ص ٨٢.

والمؤلف في مخطوطته هذه لا يعتنى بتجويد الخط ، ولا يهتم بعلامات الترقيم ، ولا يضع اعتبارا للعناوين الجانبية ، أو البدء في أول السطر ، في كل المعلومات الجديدة التي يوردها .. وهذه الناحية ذات صبغة في التاليف والاخراج الحديث .

وخط المؤلف وسط يميل الى النسخ في بعض حروفه ، والثلث في بعضها ، لكنه لا يهتم بالسنن ، والنقط لبعض الحروف ، مثل النون في منه وعنه ، ويقطع بعض الحروف ، حيث يجد القارىء نفسه مضطرا للارتباط بالمعنى ، أو الالتزام بالقرينة ، التي تقربه من فهم المراد .

ولا يستطيع المتتبع للمؤلف في كتابه هذا معرفة السنة التي يريدها ، الا بتقليب الصفحات ، والعودة للسنة التي أرادها في صفحات كتابه السابقة لهذا الحدث ، دون أن يبرز هذا العنوان بخط ، أو قلم مغاير لمالوف كتابه .

لكنه يحاول أن يبرز اسم السنة بحروف اكبر من مالوف خطه في هذا الكتاب ، ولو كان ذلك في أثناء السطر .

ولا نحمل المؤلف شططا في هذا الأمر الذي لا تثريب عليه فيه ، فقد كانت هذه عادة سار على منوالها المؤلفون قبله ·· وما هو الا متبع لهم ، فترسم خطاهم ·

كما أن المؤلف سار في سرده للمعلومات على طريقة المؤرخين من بني جلدته ، وسلك مسلك ابن عيسى ، وابن بشر ، وابن غنام ·· وهذه المنهجية هي ذاتها أسلوب الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/٨٣٩ ـ ٩٢٣م) في تاريخه ، وفي سرده للأحداث ·

الا أننا عندما نوردها هنا ، فما هي الا رغبة من المؤلف نرجوها ، بعد ما أعطى بصمات نفسه ، وظل شخصيته ، بأن غير هذه الطريقة ، وبدل في نمطها ، لأنه عاش في العصر الحاضر حيث يلمس في الكتب التي بدأت تبرز في المكتبة العربية ، طريقة في التبويب ؛ ونمطا في الترتيب ، يعطى للكتاب نمطا ، وللقارىء تشويقا وراحة ·

هذا الشكل الجديد يعطي أيضا للمؤلف وزنا ، وللمعلومات مكانة بارزة ، فتتطلع نفس القارىء لهذا التجديد ، وترتبط حواسه بما قدم أمامه ·

ولا يغض من قدر ومكانة هذا المخطوط ، علميا وتاريخيا ، ما وقع فيه المؤلف من أخطاء قليلة لغوية ، ونحوية ، مبعثهما ضعف مستواه في علوم اللغة العربية ، وتقويم قواعدها ·

كما لا ينقص من منزلته ، ما يتراءى أمام القارىء من هفوات تاريخية مصدرها التردد الكثير عنده ، ورغبته في تصحيح الأخطاء ، وتأكيد المعلومات ·

فهاتان الظاهرتان ـ وان كنا سنلم بنماذج مما وقع فيه المؤلف ، على سبيل تسليط الضوء فقط ـ ، أتوقع أن المؤلف يستطيع تفاديهما ، لو أتيح له فرصة أطول لتنسيق جهده هذا ، وبلورته في صورة نهائية ، بل لعله قد استدرك هذا فيما نقحه في نسخه الأربع المار ذكرها ·

ولا نستطيع أن نعطي حكما مطلقا بذلك ، وانه أزال بعض النقاط التي تغير المعنى ، وأرادها ـ فيما يبدو ـ فواصل بين كلام وكلام ، كالنقطة في قوله : استقر ، ودثر ، اذ جعل نقطة بعد الراء في الحالين يتوهمها القارىء زاء [ص ٥] ·

ومع هذا فكم يتمنى كل مهتم بالعلم والتاريخ في بلادنا ، أن كل مدينة وقرية من بلادنا المترامية من نجران وجيزان جنوبا حتى تبوك وأطراف الشام والعراق شمالا . أنجبت واحدا كابن المجمعة هذا ، ليرصد لنا ما ارتسم في مخيلته ، وما دار في مجتمعه ، من معلومات تاريخية ، وعادات اجتماعية ، لأي حقبة زمنية .

فبلادنا بأمس الحاجة الى من يرصد معلوماتها المتناثرة ، ويجمع شتات ما تفرق من معارفها . خاصة وأن ما كتبه الأخرون عنا ، ما هو الا أسلوب أخذوه منا ، ومعلومات استقوها من أمثال هذا الرجل ، ودورهم في ذلك التنسيق والاظهار في أسلوب جيد ، وثوب جديد . فحكمهم في ذلك حكم التاجر الذي يحسن طريقة العرض لتجارته ، أو يجيد أسلوب التغليف ، وطريقة العرض ، اللهم الا أشخاص أتيح لهم فرص نادرة في العلاقة والمكانة ، فدونوا من واقع سماعهم ومشاهداتهم .

أخطاؤه اللغوية :

يتضح ـ كما أشرنا ـ أن حصيلة المؤلف في اللغة العربية قليلة ، وأن بضاعته ينقصها التشبع والكمال .

ولذلك كثرت عنده الأخطاء : في اللغة ، والخط ، والرسم الاملائي ، والتركيب اللغوي ، ولا يعتني بالهمزات ، اذ لا يفرق بين القطع والوصل . ولو كانت هذه الطريقة مطردة عنده لقلنا ان عادة الكاتبين في عهده تسير على هذا المنوال .

لكنه يأتي بها في مواطن متعددة ، ويغفلها في مواطن أخر .. مما يجعل مجال الملاحظة واردا ، والاشارة لازمة .

الا أن كثر هذه الأخطاء وضوحا عنده : « النحو » ، الذي يخطىء فيه حينا ، ويتردد حينا آخر .

ففي اللغة مثلا : ـ

- يغفل الهمزة في المؤرخون ، فيقول « المورخون » ، مع أن فعلها ارخ ، وقد أوردها في عدة مواضع ، ومثلها « همزة « هؤلاء » كما في ص ٢٠ ، عندما رسمها « هولاء » بدون همزة على الواو .. وظاهرة اغفال الهمزات أو تسهيلها عند المؤلف كثيرة .

- يقطع الكلمة الواحدة بين سطرين . وهــــذه من الكثرة عنده بحيث يصعب حصرها ، خذ مثلا ص ١٤ كلمة « والأسر » . قســــمها بين سطرين ، وص ١٥ كلمة « أطفأها » جعل « أطفا » في سطر ، والهمزة وهاء في سطر آخر ، ولم يضبطها املاء ، ص ١٧ كلمة « قريبا » جعل « قر » في سطر ، « يبا » في سطر آخر .

وهكذا في بقية الصفحات يجد القارىء مثل هذا بكثرة .

- يقول في ص ١٧ « وانطماس معالمها ، ودوروسها » ، أتوقع أنه يقصد « ودروسها » لأنه مغرم بالسجع ، اذ الجمــــلة قبلها : « بعد أفول شموسها » ، من جهة ، ومرة أخرى فلا معنى « لدوروسها » ، ولا مدلول لها في اللغة .

- في ص ١٩ يقول : « معلط عليهم العدو » ، ولا معنى لكلمة « معلط » هنا ، ولعله يريد « تسلط » .

- يجعل جمع فعائل ، على فعايل بالياء دائما بتسهيل الهمزة واعادتهــا لأصلها مثل القطايم ص ١٨ ، والوقايع ص ٢٢ ، وطوايف ص ٢٣ .

- لم يتضح المفهوم الكامل من الجملة : « فعند ذلك صار للبلاد النجدية شهرة وايمتها وعلماء كانوا في جزيرة العرب هم القدوة » .. فايمتها لا معنى لها ولعله يريد « أئمتها » فقلب الهمزة ياء كعادته .. ثم لعله يريد أن يقول : « وخرج منها علماء كانوا ... » .

وفي النحو ، وهو جزء من اللغة العربية ، نشير الى بعض ما تبادر لديه من هفوات : ـ

- زيادة الفاء ، في هذه العبارة « ثم انهم فلم يزالوا » ص ٢٦ .

- يقول في ص ١٤ « نحوا من احدا عشر سنه » ، والتمييز دائما يتبع المميز في التذكير والتأنيث .. ولما كان المميز مؤنثا . وجب أن تكون الجملة هكذا : احدى « بالياء » عشرة سنة .

- يقول في ص ٣٠ « حصل وقعه بين بلد روضة ســــدير بين آل ماضي رؤساء البلد » ، والصحيح أن يؤنث الفعل بتاء التأنيث ، لأن الفاعل مؤنث ـ ومثلها ص ٣٤ ـ ثم كرر كلمة « بين » ثلاث مرات ، والأولى منهن لا مبرر لها ، فهي لم توضح مدلول البينية ، والأفضل وضــع حرف « في » بدلها .

- رفع « وافد » في قوله : « وكان أخوهم عبد العزيز في بلد الجبل وافد على ابن رشيد » ص ٣٣ وهي حال ، والحال موضعها النصب ، كما رفع كلمة سعود ، وهي خبر لكان ، الذي محله النصب كما في قوله : « وكان ابنه سعود » ص ١٣ .
- لا يهتم بعودة الضمائر ، ولا مراعاة سياق الكلام كما في قوله : « أقاما أياما ثم رجعا الى أوطانهم » ص ٣٤ ، فالضمير في أوطانهم يعود لجماعة بينما الكلام في سياق العبارة لاثنين ، وجمع الأوطان ، والملائم التثنية كان يقول « وطنيهما » ، وقد جاء هذا في موضع آخر بنفس الصفحة . ومثل هذا فأغاروا ص ٣٤ .

وفي رسمه الاملائي : لا يضع الهمزات مواضعها ، ولا يراعي الاهتمام بها مثل : ـ

- ملائكته ، يكتبها بالياء بدل الهمزة ص ٢ .
- وهمزة امتلأت يضعها على السطر بين الألف والتاء ص ٣ .
- المؤمنين يكتبها بدون همزة ص ٣ ، ومثلها البيضاء ، الأمة ، الأصنام ، الأوثان ص ٣ .
- كما يسقط الهمزات في الفضلاء والنجباء ص ٧ .
- يضع همزة استيلاءهم على الألف ، ورسمها الاملائي على السطر ص ١٧ .
- يحتار في الوضع الصحيح للهمزة ، حسب القواعد الاملائية ، فعبارة « فنشأ النشأة الطيبة » ص ١٨ ، يكتبها هكذا « فنشاء النشئة الطيبة » ، وكلمة « رأيت » ص ٢٧ يضع همزتها على السطر بدون الف ..

ومع هذا فهو لا يفرق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة ، ويلمس القارىء ذلك جليا في أسطر كتابه ، وزواياه مثل : وفاة ، التي جاءت عنده كثيرا يكتبها بالتاء المفتوحة ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ومثلها الحياة ص ٢ ، البغاة ، الطغاة ص ١٧ .

- لا يفرق بين الألف التي أصلها واوي ، أو التي أصلها يائي في الرسم الاملائي ، فهو يكتب « وعى » بالألف « وعا » ، وهي من وعى يعي ص ٢٠ ، والقاعدة الاملائية أن الألف التي أصلها ياء تكتب بالياء ، والتي أصلها واو تكتب بالألف ، ومع أن مثل هذا من البديهيات المسلم بها تتكرر عنده كثيرا .

والأخطاء اللغوية ، سواء كانت املائية أو نحوية أو خطية ، عند المؤلف من الكثرة بحيث يصعب حصرها .

ولهذا فان ما عرضته هنا ، ما هو الا نماذج قليلة ، وضحت في الصفحات الأولى من هذا المخطوط ، دون حصر لما في الكتاب جميعه .. لأن الأمر ليس مجال حصر واستقصاء بل هو تنويه واشارة ، وعرض نماذج يقتنع بها القاريء . والى جانب ذلك يبرز عند المؤلف أخطاء فنية ، تجعل القارىء في لبس ، وخاصة ذلك النوع من القراء الذي اعتاد على قراءة الكتب المطبوعة حديثا مثلا : ـ

١ ـ لا يتقيد بعلامات الوقف ، ولا وجود لعلامات الترقيم عنده .

٢ ـ الكتاب كثير الهوامش ، ولا يضع المؤلف علامات تدل على بداية الهامش ، أو موقع الكلام .

والى جانب هذا فانه يأتي بهوامش ، لا يدرك القارىء مدلولها من النص ، ولا يشير لمكان هذا التعليق كقوله في ص ١٤ ، « على ما ذكره بعضهم » ، فهو هنا يترك للقارىء التخمين ، وتصيد المكان ، من جهة ، ومن جهة أخرى فمن يعنى ببعضهم ، هل هم المؤرخون ؟ أم المنقول عنهم الذين لم يرد لهم ذكر أو اسم ؟؟ .

٣ ـ يتردد كثيرا سواء في المعلومات التاريخية ، أو في اللغة العربية ، ولذا يكثر عنده الطمس والتعديل ، وقد يوجد للكلام المعدل أو المطموس نصيب من الصحة والاستقامة ، يبرز مثل هذا في الصفحات : ٣٣ ـ ٣٤ ، ٥٩ ـ ٦٤ ، ١٠٨ ـ ١١٢ ، كما تردد في ص ١٤ في حركات الاعراب في الكلمتين قريب ، واثنى .

٤ ـ يشوق القارىء لبعض المعلومات لكنه لا يستكملها وخاصة فيما يتعلق بالنماذج والأشعار فهو يقول في ص ٣٤ : « وفيها يقول بعض شعراء البادية الى آخره » ، لكنه لم يذكر شيئا من هذا الشعر الذي ينبىء عما قاله ، بل أتى بجزء من بيت شعر ، ثم عاد لطمسه ، ومثل هذا يتكرر عنده عدة مرات في مواقف أخرى ، انظر ص ١٢٢ عن قصائد ابن عثيمين بمناسبة الاستيلاء على الأحساء .

٥ ـ يوحى للقارىء بأنه في حديثه عن اي موضوع ، يربطه بما قبله ، أو عندما يعرض المعلومات يشوقه بأن المعلومات التي جاءت لها بقية عندما يقول : « كما سيأتي ان شاء الله » ، أو « كما مر بنا » ص ٨٠ ، ٨٢ ،

لكن أحداث السنة تمر وينتقل لأحداث السنة التي تليها ثم التي تليها ، ولا يذكر ما وعد به .. ولا يستدرك عن ذلك .

٦ – يتردد في اعطاء بعض المعلومات بين ايجاب وسلب ، ودون أن يشير الى أن خلافات في المصادر التي استقى معلوماته منها ، كما يقتضب في معلومات يوردها لا تتفق مع اشارته في الحاشية عن أهمية الموضوع ، انموذج ذلك : في ص ٤٥ أشار في الحاشية كعادته عن أهمية الموضوع بقوله « قضية المجمعة » ، لكنه لم يذكر الا خبر السيل الذي نزل على وادي المجمعة ، المعروف بشعيب المشقر ، وما نزل عليه من سيل عظيم .

ص ٥٨ يقول : « حذو ألف وخمسمائة » في التعليق بينما في الصلب قال : « قريبا من الف » .

ص ٦٢ يقول « أحد عبيده » ، ثم يعلق عليها بقوله : « أحد رجاله واسمه دخيل العنبر » .

وما هذه النماذج التي استعرضناها ، الا صورة توضح للقارىء ظاهرة من ظواهر هذا الكتاب ..

اذ هو في نظري مع أهميته ومكانته ، يحتاج الى لمسات تسد ما فيه من خلل ، ونظرات تقضي على نقاط الضعف الخفيفة في جنباته .

ولا نحمل المؤلف فوق طاقته ، ونلقي عليه أعباء كل فن ، ونطالبه باستقصاء كل خلل ، والاحاطة بالعلوم الأخرى .

فهو جهد مشكور منه ، أبرزه في صورة متكاملة لفترة نحن أحوج ما نكون الى من يرصد معلوماتها ، من وحي ادراكه ومشاهداته ، وماوصل اليه من معلومات ..

وان أهمية هذه الفترة ، وشح مصادرها ، وخاصة ما أشار اليه المؤلف في الجزء الأول ، جعل كثيرا من الباحثين ، يستقون معلوماتها من أبناء البلاد أنفسهم كالشيخ ابراهيم بن عيسى ، ومؤلفنا هذا وغيرهما .

بل بلغ الأمر الى أن يحكم قلبي على هذا المؤلف ، بأنه الحلقة المفقودة في تاريخ الشيخ ابراهيم عيسى ، ناسيا جهد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ، وناسبا اليه تهمة السطو على جهد الآخرين .. فدافع عن نفسه في كتاب للشيخ حمد الجاسر .

ومهما يكن من أمر فان علماء النقد الأدبي يقولون : ان الأول له فضل السبق والابتكار ، وللآخر فضل الاجادة والاستكمال

والشيخ عبد الرحمن بن ناصر ، من أصحاب الأفضلية الأولى ٠٠ وقد يكون في النسخ المنقحة التي أشار اليها الشيخ حمد الجاسر ، استدراك كثير على أشياء أوردت في هذه المسودة ٠٠ كنا نتوقعها أخطاء ، بينما المؤلف قد يتفاداها ، وهذا محتمل ، والحقيقة يدركها المطلع على تلك النسخ اذا وجدها ٠

د٠ محمد الشويير